

تحتة التحرير

من خطر الانفلات والنفخ إلى خطر الجهل والسذاجة

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD130812.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2012/08/13
السنة الخامسة - العدد: 1809



كل ما حدث من نكسات ومضاعفات حتى الآن على مسار إكمال مشروع الثورة ربما كان متوقعا مثل كل الثورات، حيث لا توجد ثورة بلا ثمن، أو ضحايا، لكن ثمة خطرا من نوع آخر يتسحب! أنا أحترم أغلب هؤلاء الفرحين باكتشاف هذا الجيل المجهول من الشباب الذي فاجأنا بشجاعته ونفاثه معا، أرجح حسن النية في معظم هؤلاء الفخورين المادحين، لكن ظل السؤال يلح على: يا ترى لماذا هذا التمادى والإصرار على المضى في نفس الاتجاه بنفس النغمة؟ هل هؤلاء الشباب، مع عامة الشعب الطيب الصبور، مازالوا يحتاجون لكل هذا المديح المخلوط بالتحريض المعلن أو الخفي طول الوقت هكذا؟ أم أن كثيرا من المادحين قد افتقدوا معايير ومحكات رد فعل الإفراط في النفخ في صاحب الفضل دون أن يخشوا التشوية أو الانفجار؟ إن ما حمى الشباب نسبيا من ذلك الإضرار هم الشباب أنفسهم، وبرغم ذلك، قلت "لعله خيرا"، لأنه من غير المقبول وسط كل هذه التضحيات أن نسمح بالإسهام في اللمز والغمز وأحيانا التهوين والإنكار، لما قام به هؤلاء الشباب والناس.. ونحن نركز على بعض المضاعفات الناتجة عن تحطيم المعبد الزائف الذي تطايرت صخوره هنا وهناك، حتى لو أظلمت الدنيا بعض الوقت!

وبالرغم من تنذير البنود تواصل السعي نحو محاولات إرساء معالم المؤسسات للدولة الجديدة فلاح لى أن بداية طيبة تظهر في الأفق، إلا أنه يبدو أن الذي أتى بعد ذلك مما نحن فيه الآن هو خطر من نوع آخر، خطر الجهل، بعد خطر الانفعالات العشوائية، حتى تجسد لى التشكيل الوزاري الجديد، كأنا نعين ناظر مدرسة ابتدائية، مدربا للفريق القومي لكرة اليد.

زاد من همى وتخوفى أن التصريحات الفردية التي صدرت عن معظم الوزراء الجدد تركزت على موقع الاختصاص أكثر مما تركزت على مشروع قومي أو إبداع سياسي أو ثورة انتاجية أو يقظة متسعة تنتبه لما جرى ويجرى في المخطط العالمي الظاهر والخفي، كل تصريحات المسؤولين الجدد جاءت أغلبها محلية تعرض حلولا تسكينية أو تسوياتية أكثر مما تحمل تخطيطا ممنهجا ممتدا إلى طول الوطن وعرضه ثم عبر الحدود.

الذي وصلنى من مجموع هذه الجماعة الجديدة، دون أى تهوين فى قدرات أفرادها كل فى مجاله، هو أن ما يجمعهم هو الجهل بأصول الحكم وماهية الدولة وآليات السياسة نفس هذا الجهل هو الذى حكمنا ثلاثين عاما، وبنفس النص "السكربييت"، تميز حكم مبارك بالبرود الجاهل الجائئ القاهر الذى لم يقلت منه إلا أصحاب المال الذين ساهموا ربما بغير قصد فى دعم الرأسمالية الوطنية لكن لصالحهم دون سائر الشعب، عاد إلى هذا النص مكررا من الرئيس الجديد أنه كالتالى: "دعونى أفكر - إن شاء الله خير- الأهم هم الكادحون المطحونون- الصبر مفتاح الفرج- كله تمام خلال أيام، الصلح خير، كله على كله... الخ"، قلت لعلها طيبة فلاح مصرى لم يضع فى حسابه حجم هذه المسؤولية، لكن قفز إلى ذاكرتى موقف مشابه مازال عالقا بذهنى يوم تولى الرئيس السابق مسئوليته فى اكتوبر 1981 وهو يقول للمحيطين به بطيبة مصرية أيضا أن هذا المنصب لم يكن فى حسابى فأعينونى"، صدقته ساعتها والله، وحين جاء وقت اختبار الاستعانة استغنى عن رأى القريب والبعيد، "وتركنا نتسلى!!" ودعوت الله الا يتكرر هذا "السكربييت" أيضا مع الرئيس الجديد.

برغم كل ذلك أملت خيرا فى اختيارات محتلمة مختلفة وإذا بي أفاجأ بهذه الوزارة التي بدت لى بلا لون ولا طعم ولا رائحة، هل خلت البلاد ممن يعرف أصول لعبة السياسة الصعبة محليا فدوليا. لا ينبغي أن نلقى

اللوم على المشاركين في هذا السيناريو أفرادا حيث يستحيل أن ننتظر من أى منهم شيئا آخر، فقد عاشوا في بلد حرم من ممارسة السياسة الحقيقية، وما كان يمكن أن يتمخض ذلك النظام فجأة فيلد لنا دهاة سياسيين قادرين على قيادة سفينة على وشك الغرق

أعترف في النهاية أن الأمور لم تتضح لى تماما، ومازلت أمل مع مرور الوقت، ومزيد من الأخطاء والتراجع والاعتذار وربما التصحيح، أن تقل المضاعفات، لكن عاد يغلبنى سوء الظن: غاية ما استطعته اجتهدا بصفة مبدئية هو أن أتبين بعض الصفات المتنوعة لبعض الأفراد أو الفرق التي كلفت برعاية أمورنا أخيرا والإسهام في تشكيل دولة لها دور ومعالم واستقلال، لكن ظلت الصفة العامة الغالبة هي "الجهل" ولا مؤاخذه، الجهل بما وصلنا إليه، الجهل بضرورة ترتيب الأولويات: هل تنظيف شوارع القاهرة أهم من إزالة التعدادات وفورا، وتاما، على الأراضي الزراعية وإزالة مخالفات تعليه المباني بدون أساس أو ترخيص، والحكم الفوري بالسجن المشدد لكل مخالف وفورا وحالا وجدا...؟! هل يعلم الرئيس أو رئيس الوزراء الرقم الحقيقي لما جرى ويجرى في هذا المجال كمثال؟ ومعنى ذلك؟

سيدى الرئيس: واضح أنك يمكن أن تكون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ونصحتى لك مادام لا يمكن تدارك ما حدث أن تضع في الاعتبار في التشكيل القادم (بعد شهر بإذن الله) تجنب الفئات التالية:

(1) **الغاوى:** من ركن الهواه الذى "ليس عنده مانع" أن يجرب لعبة السياسة، من باب الاستطلاع وتجربة ضربة الحظ.

(2) **المتخصص الأكاديمي:** الذى يتصور أن ما ميزه فى تخصصه سوف يميزه فى السياسة، فيقبل المنصب من باب الحماس والوطنية العامة.

(3) **فاعل الخير:** الذى يقبل أن يلى المنصب برغم علمه بقصوره الشخصى خشية أن يتركه فيملؤه من هو أسوأ منه فيضرب البلد باعتذاره هو عن المنصب!!

(4) **صديق المسئول:** - على مستوى اجتماعى أو عائلى أو عاطفى - الذى ليس عنده مانع أن يشد أزر صديقه رئيس الوزراء فى ورطته الجديدة ناسيا أنها ليست احتفالية اجتماعية، أو إفطارا رمضانيا، بل مسئولية سياسية.

عدلت عن تعداد بقية الصفات التى احذر من اختيارها فى التشكيل القادم ، وأعترف أنني حين

لم أجد بديلا واضحا رعبت من فكرة قد تخطر على رئيس الوزارة التالى (أو الحالى) وهى احتمال

الاستعانة بالمراكز الأهلية أسوة بالدروس الخصوصية بإنشاء المؤسسات المساعدة والبديلة عن

الحكم الرسمى المؤسساتى، مثل اللجان الشعبية وديوان المظالم وما شابه، كما رعبت أكثر، مع

فرحة خفية، باحتمال استيراد ساسة سابقى التجهيز من الصين أو ماليزيا، أو حتى قطر، (بلاش

أمريكا) لتدريب المبتدئين على العمل السياسى!!!.

*** **

وحدة الدراسة والبحث في الإنسان والتطور

"وحدة بحث في قراءة النص البشري من منظور تطوري انطلاقا من فكر يحيى الخاوي"

نشرة الإنسان والتطور (الإصدار الفطحي حسب الجهور)

شباط 2012